جغرافية القارة الأفريقية

دكتور

محمد مرسي الحريري

أستاذ الجغرافيا المساعد

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٤

دار المعرفة الجامعية

٤٠ شارع سوتير - إسكندرية

ت : ٤٨٣٠١٦٣

Bibliotheca Alexandrina

0102699

جغرافية القارة الأفريقية

دكتور

محمد مرسي الفريدي

أستاذ الجغرافيا المساعد

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٤

دار المعرفة الجامعية

٤٠ شارع سوتير - إسكندرية

ت : ٤٨٣٠١٦٣

القسم الأول

الدراسات الأولية

الفصل الاول

الملامح العامة للقارة الافريقية

تبلغ مساحة افريقيا نحو ٣٠ر٤ مليون كم مربع (١١ر٧ مليون ميل مربع) اى مايوازى نحو خمس مساحات يابس الارض • و باضافة مساحات الجزر التى ترتبط بها فان مساحتها تزيد عن ١٢ مليون ميل مربع • و هى فى هذا تلى قارة آسيا من حيث المساحة ،بينما توازى مساحة أوربا ثلاث مرات و هى القارات التى تكون ما يسمى العالم القديم •

و حتى عام ١٨٦٩ لم تكن افريقيا تنفصل عن الكتلة الارضية للعالم القديم حيث كانت تتصل بها عن طريق برزخ السويس الذى شقت به قناة السويس • و كان لهذا الوضع اثره فى عدم وجود اتصال مائى مباشر مع الشرق (الهند والصين) الا بالدوران حول القارة الافريقية • الا انه بعد شق قناة السويس اصبح الجزء الشمالى الشرقى منها يشرف على واحد من اهم طرق الملاحة العالمية •

وافريقا قارة مثلثة الشكل تظل قاعدتها فى الشمال على سواحل البحر المتوسط الجنوبية و يقع طرفها فى الجنوب. و بذلك كانت سواحلها الشمالية اطول و يزيد من طولها ايضا وجود خليج سرت •

و تمتد اراضى القارة الى الجنوب من أوربا كأنما هى امتداد جنوبى لها على نفس خطوط الطول تقريبا بالرغم من عدم وجود اتصال برى بين القارتين،ويمثل خط طول ٢٠ شرقا

خط الطول المحورى الرئيسى لكل من قارتى أوربا وأفريقيا وهو يقسمهما الى قسمين طوليين.

و تطل افريقيا على الشواطئ الجنوبية للبحر المتوسط الذى هو همزة الوصل بين قارات العالم القديم الثلاث. و تضيق الشقة المائية التى تفصلها عن اوربا فى موقعين هما : مضيق جبل طارق ،و مضيق صقلية ،ولهذين الموقعين اهمية استراتيجية وعالمية كبيرة ابرزت اهمية اماكن مثل جبل طارق و مالطة كما ابرزت ايضا اهمية بعض المواقع الافريقية مثل طنجه التى استمرت مدينة دولية لفترة طويلة و كذلك سبته فى المغرب ،وميناء بنزرت فى تونس التى قيل عنها " أنه من أجلها احتل الفرنسيون تونس ".

و يفصل المحيط الاطلسى فى المغرب القارة عن العالم الجديد و أضيق مسافة بينهما هى تلك الواقعة بين (رأس بالماس) فى غرب افريقيا ورأس (ساوروك) فى امريكا الجنوبية و هى تبلغ نحو ١٨٠٠ ميل . ويفصل الخط الواصل بين هذين الراسين حوضى المحيط الاطلسى الشمالى والجنوبى. و يعد طول هذه المسافة اقصر من متوسط عرض كل من حوضى المحيط الاطلسى . وبذلك فان " راس بالماس " هى اقرب نقطة فى القارة الى العالم الجديد . و كان هذا المحيط يعرف فى العصر الوسطى - قبل الكشوف الجغرافية - باسم بحر الظلمات .

و تنفصل القارة عن قارة القطب الجنوبى بواسطة مسطح مائى ضخم يعرف باسم المحيط الجنوبى و يدخل القسم الشمالى منه ضمن نطاق المحيط الهندى .

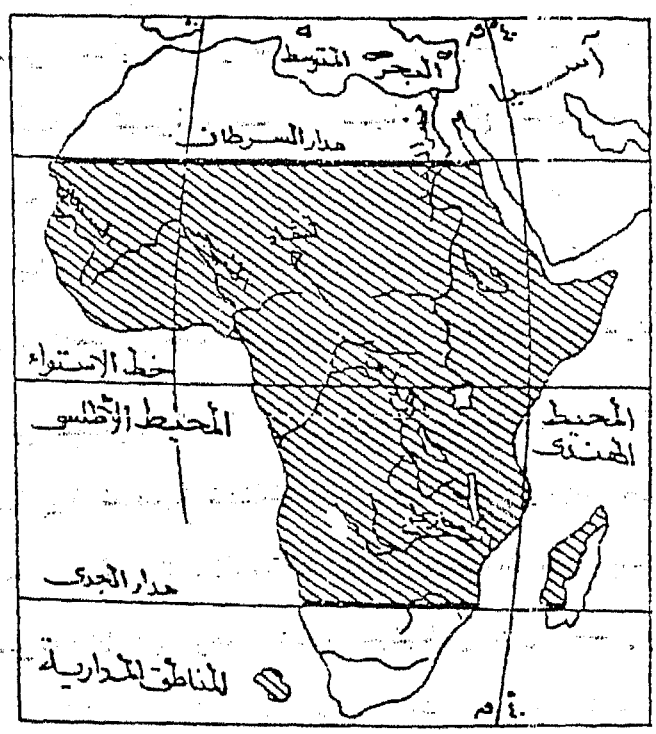

شكل ـ ١ ـ افريقيا: المرقع الفلكى والمنطقة المدارية.

ويحدها من الشرق المحيط الهندى و خليج عدن ثم مضيق باب المندب والبحر الاحمر ،واخيرا برزخ السويس الذى تقطعه قناة السويس ووصلت مياه البحرين المتوسط و الاحمر . و قد حول شق قناة السويس القارة الافريقية من مجرد شبه جزيرة كبيرة الى جزيرة حائلة يحيطها الماء من كل جانب .

و يمثل كل من مضيق باب المندب ثم منطقة السويس اضيق الامتدادات المائية التى تفصلها عن الاراضى الاسيوية المجاورة كما تمثل مفاتيح البحر الاحمر الى المحيط الهندى و البحر المتوسط . و من هنا تكتسب هذه المناطق اهمية استراتيجية كبيرة و تبرز اهمية مواقع مثل قناة السويس و منطقتها و جيبوتى ،و جزيرة ميون (بريم) التى تتوسط مضيق باب المندب[1] ويفصلها عن جزيرة مدغشقر الافريقية قنال موزمبيق الذى تقع فى مدخله الشمالى مجموعة جزر القمر.

و تتميز القارة الافريقية بعديد من الخصائص الطبيعية و البشرية تجعلها تختلف كل الاختلاف عن غيرها من قارات العالم. و هذه الاختلافات هى التى تعطيها شخصيتها الاقليمية المتفردة. الا ان أوجه الشبه بينها و بين القارات الجنوبية تفوق مثيلاتها مع قارات النصف الشمالى من الارض . و تعد استراليا اكثر القارات التى يزداد بينها وبين افريقيا اوجه الشبه .

---

(١) تشبه هذه الجزيرة بانها سدادة لعنق زجاجة هى البحر الاحمر .

و تتمثل ابرز الخصائص العامة المميزة للقارة الافريقية و التى تعطيها شخصيتها الاقليمية المميزة فى النواحى التالية :-

١ - توصف بأنها قارة مندمجة بمعنى أنها رغم ضخامة مساحتها - كما سبق - فان سواحلها قصيرة الطول و لايتعدى طولها ١٩٠٠٠ ميل.و هى أقل بكثير من طول سواحل اوربا التى تصغرها فى المساحة . ويرجع ذلك الى افتقار هذه السواحل الى التعرجات و الخلجان الكبيرة المتعمقة فى قلب القارة والى اشباه الجزر التى تبرز منها.فسواحل القارة تستمر بدون اختلاف اوتعرجات بارزة على طول امتدادها .

و كان لهذا اثره فى جغرافية القارة و نتج منها :-

أ - قارية المناطق الداخلية منها ،وتعذر وصول المؤثرات البحرية المعتدلة الى داخلية اليابس لبعده من البحر.

ب - عزلة مناطق القارة بعضها من البعض الاخر.

ج - انفصال اجزاء القارة المترامية بعضها عن بعض فى تطورها وعلاقاتها الحضارية وبذلك لم تقم بينها وحدة .

د - قصر طول سواحلها بالنسبة للمساحة ،وعدم توفر المرافئ الطبيعية المحمية لنشوء الموانى.و قد زاد هذا الوضع من تكلفة بناء الموانى على سواحلها.و يبلغ نصيب كل ميل من خط الساحل نحو ٧٥٠ ميل مربعا من مساحة القارة .

و يتضح لنا هذا الموقع - جزئيا - ان مصر ارتبطت ضوار تاريخيا بالمناطق الاسيوية المجاورة و عالم البحر المتوسط اكثر من ارتباطها بانحاء القارة الافريقية . كما ان جـــزر الازور و الراس الاخضر كانت محطات على الطرق البحرية التـــى تعبر المحيط الاطلسى اكثر منها جزر افريقية ،بينما كانـــت الاجزاء الشرقية منها يمكن اعتبارها اجزاء من عالم المحيط الهندى اكثر منها مناطق افريقيـــة .

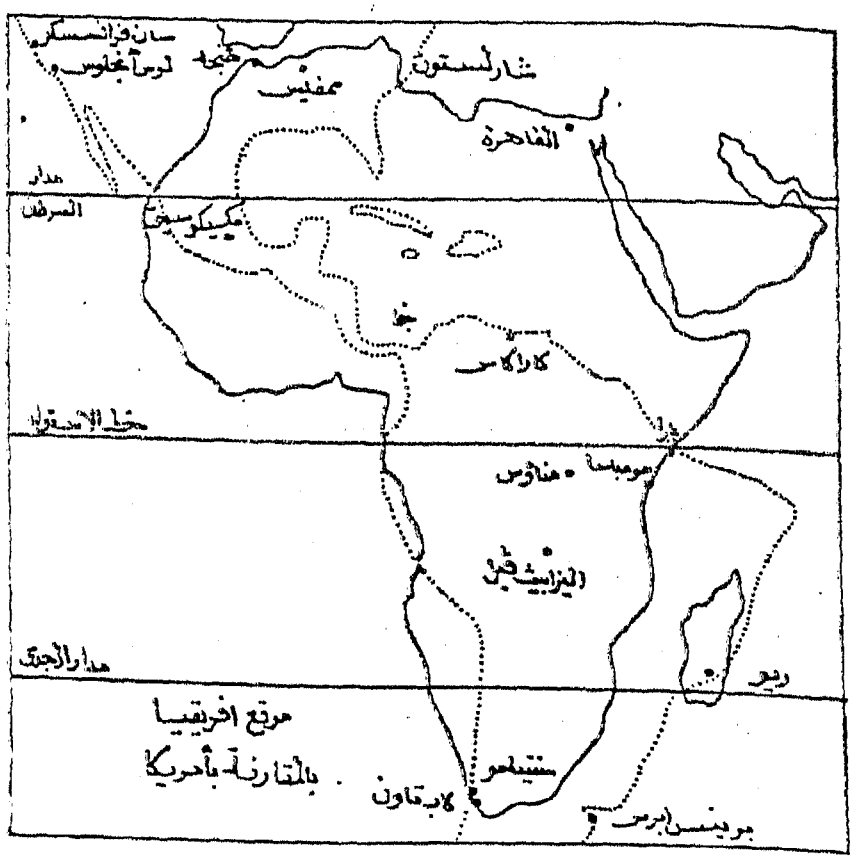

شكل رقم - ٢ - موقع افريقيا بالمقارنة بأمريكا .

من هنا فان افريقيا الاملية هى افريقيا المدرايـــة الى الجنوب من الصحراء الكبرى وبعيدا عن السواحل، فافريقيا الزنجية لها وحدة ملحوظة وانماط منسجمـــة .

تنفرد افريقيا فى موقعها بين القارات حيث يتسنى خط الاستواء الى تسمين تقريبا متساويين ، فيمتد نصفهـــا الشمالى مسافة نحو ٤١٠٠ كيلو مترا من خط الاستواء الـــى أقصى نقطة شمالية بها عند راس ابن سقا الى الغرب مباشرة من الرأس الابيض قرب بنزرت فى تونس عند دائرة عرض ٢١′ ٣٧° شمالا ، و تقع راس اجولهاس[1] و هى اقصى نقطة جنوبية فـــى القارة عند دائرة عرض ٥١′ ٣٤° جنوبا على بعد ٣٨٠٠ كيلـــو مترا جنوبى خط الاستواء . وبذلك فان امتداد القارة الشمالى الجنوبى يبلغ نحو ٥٠٠٠ ميل (٨٠٠٠ كم) .

يمثل الرأس الاخضر عند خط طول ١٧° غربا اقصى نقطـــة فى الغرب بينما يقع رأس حافون قرب راس جرارد الوى عنـــد خط طول ٣٠′ ٥١° شرقا و هى أبعد نقطة الى الشرق ، و تبلـــغ مسافة بينهما نحو ٤٥٠٠ ميل (٧٢٠٠ كم) . و توازى هـــذه الامتدادات المسافة مابين لندن وبمباى بالرحلة المباشـــرة للطائرة . الا ان الامتداد الشرقى الغربى للقارة يقل عـــن ذلك كثيرا فى جزئها الجنوبـــى .

---

(١) بمعنى مذنب .

تعزى وحده الأوضاع الى الشكل العام المثلثى الذى تتخذه القارة . وقد ترتب على هذه الحقائق آثار بارزة فى جغرافية القارة من ابرزها :-

أ - امتداد أراضى القارة بين نصفى الكرة الارضية الشمالى والجنوبى. و بينما يقع ثلثى مساحتها وامتداداتها فى النصف الشمالى فان الثلث الباقى يقع فى النصف الجنوبى من الارض . ويعزى ذلك الى شكل القارة والى الامتداد الغربى الكبير لكل من اراضى الصحراء الكبرى وساحل غانا فى الاجزاء الشمالية والى موقع خط الاستواء من أراضيها .

ب - يقع نحو ٩ مليون ميل مربع منها او حوالى ثلاثة أرباع مساحتها داخل المنطقة المدارية الحارة فيما بين مدارى السرطان والجدى. فهى بذلك تضم اكبر مساحة من الاراضى المدارية بين القارات .

ج - تتميز افريقيا تبعا لمرور خط الاستواء فى وسطها تقريبا بتقابل الفصول فى نصفى القارة. فعندما يكون فصل الشتاء فى الشمال فانه يقابله فصل الصيف فى الاجزاء الجنوبية من القارة و العكس صحيح . اضف الى ذلك تشابه تتابع الاقاليم المناخية والنباتية بصفة عامة - بين شمالى القارة و جنوبها و هى ظاهرة غير موجودة فى أى قارة أخرى من قارات العالم .

الا أن الظروف المحلية الخاصة بكل من نصفى القـــــارة الشمالى و الجنوبى كان لها أثرها فى المدى الذى امتـــدت اليه النطاقات الصحراوية فى كليهما.فبينما زادت هـــذه الامتدادات فى الصحراء الكبرى نجدها تنكمش فى منطقـــة صحراء كلهارى فى الجنوب . و تلحق نفس الظاهرة فـــى امتدادات النطاقات الاخرى ايضا كما هو الحال فى الغابـــة المدارية المطيرة او نطاقات الاعشاب المدارية .

٣ - تختلف قارة أفريقيا فى ظاهرات البنية والتضاريس عن غيرها.من قارات العالم و تعد تضاريس القارة فى غايـــة البساطة حيث تتكون من كتلة صخرية قديمة كانت جزءا مـــن قارة اكبر هى (قارة جندوانا).و قد قاومت عوامل الالتواء والرفع الا فى بعض مواقع محدودة اغلبها على حوافهاواطرافها. كما لم تتاثر بحركات الهبوط والارتفاع الا فى مواقع محدودة. لذلك كان تأثير عوامل التعرية الارضية واضحا بها . و مـــع مقاومتها لعوامل الالتواء لشدة صلابتها تظهر بها الانكسارات فى مواقع متعددة من ابرزها الظاهرات الانكسارية المكونـــة للاخدود الافريقى العظيم و هو ابرز ظاهرات السطح فى شـــرق القارة . كما صاحب الانكسارات ثورانات بركانية و طفـــوح تظهر فى مناطق عديدة من القارة.كما تتميز بوجود حافـــات صخرية مرتفعة تحف بمعظم سواحل القارة . وترتب على ذلـــك ضيق السهول الساحلية حول معظم سواحلها الى جانب الصعـــود السفاجئ لحافة الهضبة وسيادة ظاهرة الاحواض الداخليـــة

التى كانت فى معظمها احوافا ذات صرف داخلـــى .

و هى قارة تشكو من نقص فى انهارها بالمقارنة بالقـارات الاخرى حيث يتركز الصرف الماثى بها فى المناطق المداريـة بالذات.والواضح أن مجموعتها النهرية الرئيسية الخمسة(١) لاتنصرف الى البحر الا من طريق اودية ضيقة وخوانق تعترضها الجنادل والشلالات والمندفعات فى المواضع التى تقطع فيهـا هذه الانهار سلاسل الحافات الساحلية فى طريقها الى البحـر. أما الانهار الاخرى فهى قصيرة سريعة الجريان تنحدر مـــن الحافات الجبلية نحو البحر.كما تبرز بها ظاهرة تعـــدد البحيرات العذبة و بعضها من اكبر بحيرات العالم مثل بحيرة فيكتوريـــا .

و تفتقر تضاريسها الى وجود ذلك العمود الفقرى من الجبال الذى يشملها من اقصاها الى اقصاها كما هو مشاهد فـــى السلاسل الالبية الالتوائية فى اوراسيا والامريكتين . فالقـارة عبارة عن هضبة عظيمة الامتداد تشغل معظم السطح و تظهـــر على عدة مستويات تشبه المدرجات يحيطها سلاسل من الحافـات الجبلية المرتفعة تحيطها و تحجب داخلية القارة عن سهولها الساحلية الضيقة التى تنحدر اليها الحافات انحدارا أشـد. لذلك تشبه بأنها عبارة عن طبق مقلوب . كما يضيق الشرف القارى حول سواحلها ويفتقر الى الجزر و هى فى هذا تختلف عن القارات الاخرى ايضـا .

---

(١) هى النيل ،والنيجر ،والكنغو ،والزمبيزى ،والاورانج .

٤ – رغم وجود بعض عناصر غير زنجية فى شمال القـــــارة وجنوبها تنتمى الى المجموعة القوقازية الى جانب المجموعات الاوربية فى انحاء القارة وبعض عناصر تنتمى الى المجموعة الصفراء فى جنوب غرب افريقيا و مدغشقر فان افريقيا تضم اغلب المجموعة الزنجية فى العالم . و هى تعيش اساسا الى الجنوب من نطاق الصحراء الكبرى التى فصلت فصلا يكاد يكون تاما لفترات طويلة بين العالمين القوقازى و الزنجـــــى. كما تضم بعضا من اقدم الجماعات البشرية والتى ينظر اليها علماء الاجناس البشرية باعتبارها جماعات عنصرية انتقالية كما هو الحال فى جماعات البوشمن و الهوتنتوت الذين يحملون بعض الصفات المغولية الى جانب الصفات الزنجية والحاميـــة القوقازية . وكما تضم القارة بعضا من اطول شعوب العالـــم مثل الجماعات النيلوتية فى أعالى النيل فان اقزام الكنغو يعدون أقصر شعوب الارض . و قد تأثر توزيع هذه العناصـــر البشرية و مناطق اختلاطها بالاقاليم الطبيعية للقارة والتى عينت مناطق العزلة ايضـــا .

و تنقسم المجموعات البشرية بالقارة الى عدد هائل مـــن القبائل التى تتعدد دياناتها وتقاليدها وعاداتها وينتشـــر بينها الوثنية و يعد استخدام الطبلة لغة شائعة بين القبائل.

٥ ـ تتميز القارة الافريقية من الوجهة الحضارية بالتنوع و التعقد . فلقد تأثر القسم الشمالى من القارة حضاريا وسياسيا واقتصاديا بالشعوب والافكار والمعتقدات من جنوب غرب آسيا . وبذلك تنقسم افريقيا من هذه الوجهة الى قسمين واضحين .

و تقع مملكة افريقيا الحضارية فيما بين الصحراء الكبرى فى الشمال و مقاطعة الكاب فى جنوب افريقيا . وهى تتميز بانها تضم الغلب المجموعة الزنجية من البشر فى العالم و تنقسم الى عدد هائل من القبائل متعددة الديانات الوثنية و التى تأثرت كثيرا بانشطة الجماعات التبشيرية . وينتشر فيها نحو عشر عائلات لغوية وبضعة مئات من اللغات المحلية ويلاحظ أن قليلا منها يتحدث بها اعداد كبيرة من الناس او تنتشر فى مساحات كبيرة او متجاورة بحيث تكون اساسا لسيادة لغوية .

اما القسم الشمالى من القارة فانه ينتمى لمملكة حضارية اخرى هى مملكة العالم العربى او الاسلامية او العالم الجاف . والسمة البارزة لها هى الدين الاسلامى كما أن اللغة المنتشرة بها مستمدة من جنوب غرب آسيا كذلك حال اللغات الاخرى به .

و تظهر الحدود هنا كخطوط انتقالية قد لا تتفق مع الحدود السياسية للدول الواقعة بها . و فيها تنمح التقاليد الاسلامية الطريق للاساليب الافريقية . ففى السودان نجد أن

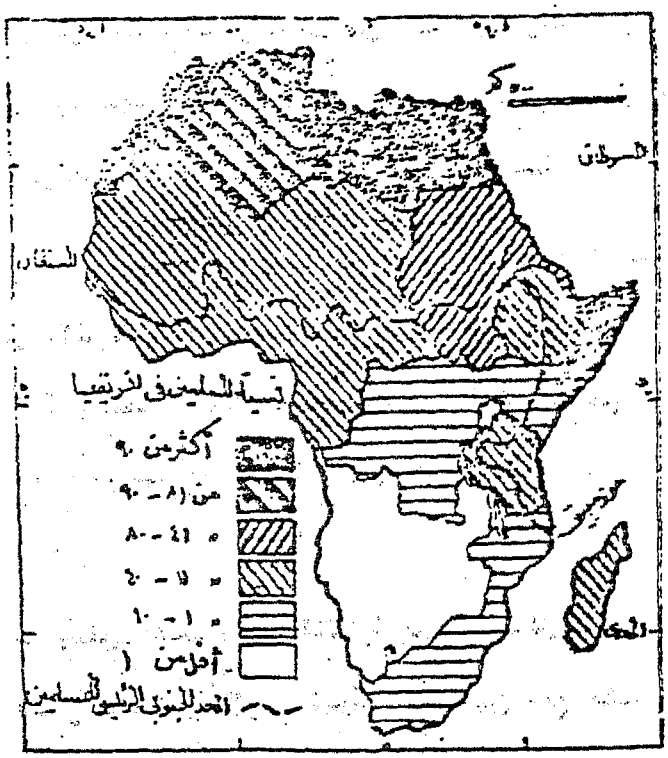

شكل رقم (٢) المناطق الاسلامية في افريقيا

القسم الشمالي ينتمي الى العالم العربي بينما القسم الجنوبي ينتمي الى المملكة الافريقية بصورة واضحة. والاختلافات والتداخل في كل السودان واضحة بدرجة تجعل في الامكان ضمها الى أي من المملكتين الحضاريتين . ويشبه السودان في هذه الظاهرات كلا من اثيوبيا وتشاد و النيجر و مالي حيث نجد اراضيها متسمة حضاريا بين كل من المملكتين تبعا لموقعها في المنطقة الانتقالية بينهما.

و لهذا السبب والعوامل اخرى كان التقسيم الاقليمي للاراضي الافريقية حيث اصبحت الاجزاء الجنوبية هي اساسا الافريقية بينما الشمالية تدخل ضمن نطاق اقليمي اخر هو المنطقة العربية او منطقة شمال افريقيا و جنوب غرب آسيا .

٦ - ينخفض الطلب على القارة في قبائل يتفاوت عددها حسب معيار تحديد اصطلاح (قبيلة) مابين بضع مئات وحوالي ٦٠٠٠ قبيلة . بمعنى أن متوسط عدد كل من هذه الالاف من القبائل يبلغ نحو ٣٠ الف فرد يعيشون في مجتمعات لروبية يوجد منها مالايقل عن ربع المليون في القارة . و نتج عن هذا العدد الكبير من القبائل مع تعدد الوحدات السياسية المستقلة في القارة والتي تبلغ نحو ثلث الدول في العالم و مع مايشوب تخطيط الحدود السياسية في افريقيا لان هذه الحدود تقسم القبيلة الواحدة بين اكثر من دولة تبعا لانها في بنائها ورثت خطوط التقسيم الاستعمارية .

كما ترتيب على تعدد و تنوع العائلات اللغوية واللغات في القارة و عدم تطور اغلبها ان اتخذت اغلب الوحدات السياسية المستقلة في القارة لغة القوة الاستعمارية من انجليزية او فرنسية مثلا التي كانت تسيطر على اراضيها قبل الاستقلال .

٧ - رغم ضخامة مساحة القارة فان عدد سكانها لايتعدى ١٠ ٪ من سكان العالم وهم يتزايدون بمعدل ٥ر٢ ٪ في السنة. وطبقا لمعايير عدد السكان و طريقة واماكن معيشتهم و مستواهم المعيشي ومواردهم المستغلة فان افريقيا تعد قارة متخلفة و سكانها من افقر اهل الارض . ويتضح ذلك اذا عرفنا انها تساهم بنحو ٢ ٪ من اجمالي انتاج السلع والخدمات في العالم و تساهم بنحو ٥ ٪ من التجارة الدولية للصادرات.

و تعزى هذه الظاهرة الى عوامل عديدة نذكر من ابرزها ان الاقتصاد الافريقي يتميز بظاهرتين واضحتين هما: سيادة وانتشار الاقتصاديات المحلية للقبائل المختلفة التي تقوم على الاكتفاء الذاتي بممارسة حرفة بسيطة كالزراعة بانواعها وتربية الحيوانات في المناطق التي تسمح بذلك . ويكون هذا النوع من الاقتصاديات الوطنية بحرا كبيرا تنتشر فيه بعض الجزر الاقتصادية لانواع النشاط الاقتصادي المتقدم الاخرى مثل مناطق المعادن والصناعة والزراعات النقدية والاقتصاديات التجارية الاخرى وهي تتركز في عدد محدود من المناطق .

ولايزال ٧٥ ٪ من سكان القارة زراعيين و تزيد هذه النسبة عن ٩٠ ٪ فى بعض الدول.ورغم ذلك فان القارة لاتكاد تكفى نفسها غذائيا و تعددت بها الجماعات التى تعصف بالسكان فى عدد ليس بالقليل من دول القارة و تنتشر فى اغلبها ظاهرات سوء التغذية .

و تعد كل هذه الظروف من تخلف الزراعة فى القارة وكذلك الافتقار الى الصناعة الحديثة علامات تضع الشعوب الافريقية فى ادنى مستويات التقدم والرفاهية فى العالم .

٨ ـ تملك القارة الافريقية موارد طبيعية ضخمة تحتاج الى الاستغلال و توظيف رؤوس الاموال منها ماهو سطحى ومنها مايختزنه باطن الارض .

أن سطح القارة عموما غير صالح للزراعة اما بسبب شدة جفافه أو لأنه شديد التعقد او لان التربة غير خصبة ولاتستطيع الانتاج الا لعدد قليل من السنوات قبل ان تفقد خصوبتها تماما. الا انه توجد اراض عالية الخصوبة جدا مثل الاودية المروية للنيل مثلا والتربات البركانية فى شرق أفريقيا. كما يمكن استخدام طرق عديدة لاصلاح الاراض وزيادة الانتاج واستخدام الاساليب الحديثة فيه .

والقارة موطن بكر للخامات المعدنية يقل الذهب والماس والكروم والمنجنيز والحديد والنحاس والفوسفات واليورانيوم والكوبالت و غيرها من المعادن الاستراتيجية الهامة .

و تنتج القارة كميات ضخمة من البترول تتركز بصفة خاصة في الدول الشمالية و في نيجيريا و الكمرون،وان كانت الاحواض الرسوبية حول سواحل القارة تمثل مناطق محتملة لهذا المصدر الحيوى للطاقة ولخامات الصناعات الكيماوية. و هى رغم افتقارها الى موارد الفحم والذى تتركز مواطن انتاجه فى جنوب افريقيا و زيمبابوى فانها تملك اكبر احتياطيات من مصادر الطاقة الكهربائية فى العالم. الا انها مصادر فى معظمها غير مستغل لعدم توفر الاستثمارات من جانب ولعدم تعرف الفرد الافريقى على طرق وفوائد استخدامها فى حياته اليومية من جانب آخر .

كما تتعدد و تتنوع مواردها النباتية والزراعية تبعا لتعدد اقاليمها المناخية والنباتية.و هى تحتكر صادرات كثير من الغلات الرئيسية الهامة مثل زيت النخيل والكاكاو و القنب والقرنفل و غيرها .

لذلك كانت القارة دائما مطمعا للقوى العالمية لفرض سيطرتها عليها والتصارع على اديمها قديما و حديثا . و من هنا كان استعمارها وتقسيمها ومشكلات استقلالها ومابعد الاستقلال.و ترتب على ذلك مايصطرع على ارضها حاليا من صراع للايديولوجيات للسيطرة على اتجاهات دولها حديثة الاستقلال ذات المشكلات المعقدة المتعددة الموروثة . فافريقيا قد جعلها ماتملكه من موارد طبيعية وفيرة ذات اهمية فى ساحة

الاسلام حيث ينظر لها استراتيجيا باعتبارها قلب العالم الثالثي الذي باحتياطياته من الخامات و بان اجزاء منها هي خطوط الدفاع الاساسية والاحتياطية عن العالم الغربي في اوربا . و كان كل هذا هو العوامل الاساسية للصراع الدموي السائد بين ربوع القارة بين البيض والسود من جانب و بين القوى العالمية و الطامعة والايديولوجيات المختلفة لهذه القوى من جانب آخر .

٩ - ان افريقيا قارة فريدة في تاريخها وتطورها السياسي. وتنعكس هذه الحقيقة في الاوصاف المختلفة التي نعتها بها الكتاب المختلفون . فقد وصفت بانها القارة المظلمة وانها القارة السوداء وانها قارة الالغاز وانها قارة بلا تاريخ. و في الواقع فان هذه الاوصاف قد تصدق جميعا على احوال القارة الافريقية الا انها لاتدل على الحقيقة كاملة . فان كثيراً من الحقائق الاساسية عن طبيعة القارة ومواردها الطبيعية غير معروفة تماما لعدم اكتمال الدراسات حولها . كما ان التعرف الحديث على القارة حديث لايرجع الى أبعد من القرن ١٩ و قبلها لم تكن افريقيا سوى مرحلة على الطريق بين اوربا والشرق. وقد حملت من آثار هذه الفترة اسماء لبعض الاماكن على سواحلها تذكرنا بوظيفتها الاصلية المبكرة مثل :-

ديلاجوا Delagea (من جوا From Goa) في الهند

ألجوا Algoa (الى جوا To Goa) في الهند

ثم سادتها ترون تجارة الرقيق ونهب العنصر البشـــــرى، وايامها لم يكن يتسن للنخاسين الاوربيين التوغل فى القارة بسبب عداء القبائل الافريقية ولعدم توفر الاداء لهم. وبذلك استمرت القارة لغزا و غامضة لفترات طويلة رغم أنها اقرب القارات الى اوربـــا .

ولانجد للقارة تاريخا مرتبطا بل ان انحاءها تنفصل عـــن بعضها فى تطوراتها التاريخية والسياسية . فالاجزاء الشمالية من افريقيا يفصلها من المناطق المدارية الصحراء الكبـــرى و بذلك انقسمت اراضى القارة الى جزئين لكل مشاكلة الخاصـــة و خلفيته التاريخية. و تضافرت ظروف المناخ المعتدل لاقصـــى الطرف الجنوبى من القارة خارج المنطقة المدارية مع الظروف التاريخية طوال مدة القرون الاربعة الاخيرة و مميزته بتاريخ خاص عن بقية القارة . ويتصل تاريخ المناطق الشمالية بعالم البحر المتوسط بعيدا عن افريقيا ،وارتبطت مصر طوال تاريخها بجيرانها الاسيويين وبعالم البحر المتوسط.و فى الغـــــرب كانت جزر آزور ورأس فرد محطات على طريق الاطلنطى منها جزرا افريقية . و كانت السواحل الشرقية من القارة لفتـــرات طويلة جزءا من عالم المحيط الهندى واليها عبرت جماعـــــات الهوفا هذا المحيط الى مدغشقر قادمه من جنوب شرق اسيـــــا وارتادها تجار العرب والمسلمين لقرون عديدة و توغلـــــوا لمسافات بعيدة فى الداخل وهم يمثلون حلقـــة وصل مع سواحل

المحيط الهندى الاخرى وعملوا على نشر الاسلام فى هذه المناطق.

و بذلك كانت افريقيا الحقيقة التى ارتبطت طوال تاريخها بالارض الافريقية هى المنطقة الواقعة بين المدارين الى الجنوب من الصحراء الكبرى وبعيدا عن السواحل ،و هى موطن و مجال الجماعات الزنجية و هى يمكن ان يطلق عليها مع التجاوز اسم افريقيا السوداء تبعا للون البشرة السائد كما انها تتسم بوحدة ملحوظة وتتكررفيها الانماط .

و على هذا الاساس يمكن ان تقسم القارة الى مجموعة من الاقاليم تتباين فيما بينها فى خصائصها الجغرافية و فى طبيعة العلاقات السكانية السائدة بكل منها.فافريقيا البحر المتوسط الشمالية مثلا تختلف عن جنوب افريقيا و كلتاهما يختلفان عن شرق افريقيا او غربها.ولايتوفر للقارة نظام للنقل يربط بين انحائها المختلفة و يعمل على زيادة الروابط بين هذه الاجزاء .

١٠ ـ تضاعف عدد الوحدات السياسية المستقلة منذ عام ١٩٦٠ واصبحت القارة تضم اكبر عدد من الدول بين قارات العالم. الا ان عدد وحدود و حجم وشكل وسكان واقتصاديات كل من هذه الدول تحمل جذور عديد من المصاعب والمشكلات.واغلب العواصم الافريقية تقع عند احد اطراف الدولة وفيها تتركز الوظائف المالية والادارية والانتاجية لكل الدولةويتركز فيها نسبة كبيرة من السكان والخدمات التعليمية والصحية وتتركز اليها

ر منها طرق النقل المتنوعة وتمثل مركز الجذب الوحيد للسكان من كل انحاء الدولة .

و بينما يزيد متوسط مساحة الدولة فى افريقيا ويبلغ ٢٣٤٠٠٠ ميل مربع فان متوسط السكان قليل ويبلغ ٥ مليون فرد.فالظاهرة الواضحة هى افراط فى المساحة و قلة فى السكان.فالدولة الافريقية " لها قامة قزم فى ثوب عملاق". ولايوجد بين الدول الافريقية سوى عشرة يزيد سكان كل منها عن ١٠ مليون نسمة .

ان كلا من الدول الافريقية تملك العديد من المشكلات والمصاعب والمتاعب التى تزيد من ضعفها وتزيد من حاجتها الى الاصدقاء والمساعدات ، من هنا تكمن جذور المشكلات التى تصطرع لها انحاء القارة سواء داخل كل دولة اوفيما بين الدول بعضها والبعض الاخر . وادت الى ان اصبحت القارة مجالا لصراعات بين الديمقراطيات الغربية والدول الشيوعية .

١١ - ان افريقيا المعاصرة هى قارة تتغير تبعا لما تشهده جوانبها من تطورات سياسية واقتصادية وايديولوجية و تغيرات آمالها وبنائها الاجتماعى.و تمر القارة حاليا بتغيرات زراعية صناعية تكنولوجية واجتماعية وسياسية. وتتم كل هذه التطورات مع بعضها و فى وقت واحد . ولم تشهد اى مجتمعات فى التاريخ او فى أى مكان آخر مثل هذه التغيرات المتعاصرة والسريعة.فالناس الذين يعيشون حاليا فى اكثناء

ذاتى و يعيشون حياتهم البسيطة فى عزلة نسبية عن غيرهم يتجهون الى اسلوب الحياة التجارية الغربى المعقد بالنسبة لهم والى الاتصالات الوثيقة مع القبائل والمعتقدات الاخرى والى تجمعات سياسية واجتماعية جديدة .

و ليس من شك فى أن مقدرات القارة ستتأثر كثيرا بمثل هذا العامل الذى سيغير من العلاقات المكانية السائدة بين ربوعها .

لقد أفادت افريقيا كثيرا من المخترعات الحديثة ،فلقد ساهمت السكك الحديدية والطرق و خدمات الطيران فى انفتاح القارة و ساعدت المواصلات فى ادارة المساحات الكبيرة. وساعد الاسمنت والصلب على بناء المبانى الكبيرة فى قارة تفتقر الى الاحجار المناسبة والى المواد الصالحة لصناعة الطوب . وساعدت القوى الكهربائية والنووية على التصنيع فى قارة تفتقر الى الفحم كما انها ليست غنية بالبترول .وتملك اضخم موارد للطاقة الكهرومائية فى العالم ،و مما يذكر أن مايملكه الكنغو الادنى منها تفوق الطاقة المستعملة فى الولايات المتحدة الامريكية.و يساهم طب المناطق الحارة و تجميد و تبريد الطعام فى تأمين الحياة لمن يملكون المال والمعرفة ويمكن للكهرباء الرخيصة ان تساهم فى انتشار تكييف الهواء وزيادة كفاية البشر .

و تعد القارة الافريقية بالرغم من انها - حسب مايذكر- هى مهد البشرية ،أقل القارات تقدما رغم انها الاقرب من اكثر واقدم القارات تقدما و هى آسيا واوربا . و نظرا لانها اقرب المناطق المدراية من اوربا فقد اعطاها ميزة تصدير المواد الخام كما هو الحال مثلا فى الغاز الطبيعى من شمال افريقيا.ولكن هل سيمكن للقارة ان تتقدم زراعيا كما حدث فى اسيا الموسمية مع تقدم صناعى واضح ؟.

و يختلف الدراسون فى تقسيم القارة الى اقسام جغرافية. و هى يمكن تقسيمها الى الاقسام الاتية : - ١ - شمال غرب افريقيا - ٢ - الصحراء الكبرى - ٣ - غرب افريقيا ٤ - وسط افريقا الغربى - ٥ - جنوب افريقيا - ٦ - شرق افريقية - ٧ - حوض النيل والقرن الافريقى - ٨ - الجزر الافريقية .

و لكل من هذه الاقسام خصائصه الجغرافية التى تميزه عن الاقسام الاخرى .

الفصل الثانـــى

الكشوف الجغرافية الافريقيـة

تدل الحفائر المختلفة التى تمت فى انحاء القـارة و وماعثر عليه من اثار اوحفريات قديمة على احتمـــال أن تكون افريقيا هى مهد الجنس البشرى . كما شهدت اطرافهـــا الشمالية اقدم الحضارات الانسانية و بخاصة فى حوض النيـــل الادنى فى شمال شرق القارة . اضف الى ذلك ما تأسس علـــى سواحلها الشمالية المطلة على البحر المتوسط من مراكـــز لحضارات فينيقيـــا واليونان والرومان .

و لم تكن بقية انحاء القارة خلوا من مظاهـــــر الحضارة او المدنية ،كما لو تكن دائما بمنأى بين الاتصـــال بالحضارات الاخرى . فلقد شهدت انحاء متباينة منها ممالـــك متحضرة . وامتدت المؤثرات الحضارية المصرية الى اعالـــى النيل و غرب القارة . كما امتد الانتشار العربى الاسلامى الى ربوع شاسعة منها فى الشمال والغرب والشرق . بل وجدنـــا التأثيرات الاسيوية بعامة والعربية والاسلامية منها بخاصـــة واضحة على طول السواحل الشرقية من القارة بدءا من الشمـــال حتى اقليم ناتال فى جنوبهـــا .

ورغم ذلك فان اوضاع القارة تؤكد الانفصال الحضارى الكبير بين انحائها و تميز مواقعها فى الاتجاهات المتباينة بخصائص حضارية مستقلة .بالاضافة الى عالم القبائل الوثنيـــة

ذات العدد الفخم الذى تفعه والتى عاشت فى اغلب الاحـــوال منفصلة عن بعضها الا عند هوامش مواقعها بحواجز اللغـــــة والتقاليد والخرافـــــات .

لذلك فان افريقيا يمكن ان تكون مثلا واضحا لانـــواع الكشوف الجغرافية . فالتعرف المحلى على البيئة والممـــالك فى المناطق القبلية المحدودة ضرورى لضمان الوجود والامـــن. والتعرف القومى اصبح مطلوبا بنشوء مراكز الحضارة والممالك فى بعض انحائها.كما كانت المعارف الاقليمية فيصلا بين الحياة والفناء بتأثير ضغط القبائل و تحركاتها عبر انحاء القارة وزيادة الاتصالات بينها وبين انحاء القارة وبعضها للتجـــارة او لغير ذلك . ويمكن ان نعتبر أن الكشوف المغربيـــــــة والافريقية والدينيلية والرومانية و كذلك الهندية والعربية لانحاء القارة كشوفا عالميا فى فتراتها حين كان لكـــــرة العالمية من انحاء هذا الكوكب تلم المناطق المأهولة التى يتم التبادل بصورة المختلفة ـ تجاريا او ثقافيا أو سياســـيا او سكانيا ـ فيما بينها .ولاتكون المناطق الاخرى والتـــــى كانت فى معظمها غير معروفة الا هوامش ملغزة لاقيمة لها اقليميا او عالميا انذاك ولايسكنها الا اعداد محدودة من البشـــــر المنعزلين بمعارفهـــم المحليـــة .

و يعد التعرف الجغرافى على المواطن المحـــــدودة

للقبائل والجماعات الافريقية هى الفيصل بين الحياة أوالموت من ذلك مثلا تعرف جماعات و قبائل البوشمن اوالاقزام او النوبيون او الاشانتى او اليوروبا اوالماساى مثلا على مواطن كل منها : الارض بشكلها وامتدادها و تموجها ومواارد المياة وتوزيعها و مناطق أشكال الحياة النباتية وانواعها و مواطن الضعف والسهولة و الصعوبة فى السيطرة و توزيع البشر بين صالحين وأعداء و مناطق التضخم وتغيرات الجو والحيوان و طباعة وانواعه و تجمعاته وفوائد الكتلة الحيوية فى الاقليم . لاشك أن انسان المنطقة المحلية على دراية تامة بكل ذلك وبالممالك التى يمكنه ان يستخدمها فى حركته عبرها . و هى كلها من اساسيات الثقافة الضرورية له فى بيئته . و هى تزداد بالتبادل مع الجيران حيث يتعرفون على مالديهم والغير موجود عندهم .

و بتأثير ضغط القبائل والجماعات ودفع الجماعات القوية للاخرى الاضعف وافطرارها للتحرك على اديم القارة عرفت الطرق والممالك ولاشك ان هذا النوع من المعرفة الجغرافية كان يتم بالمحاولة والخطأ فى بداياته ،و كانت له نتائجه الحيوية لحياة الجماعات ولكنه غالبا قد يكون له ضحاياه العديدة فى المراحل الاولى .

وقد كونت مثل هذه الجماعات التى توفرت لها المعارف المحلية الادلاء التى استعانت بها الكشوف الجغرافية لاشك

قدموا من خارج مناطقها، وساعدت على سرعة التعرف على هذه المناطق بدون ضحايا او متاعب قاتلة ومجهدة .

و قد كان هذا النوع من المعرفة الجغرافية موجودا طوال حياة الانسان الافريقى على اديم القارة ،و ظل كذلك لدى الجماعات المختلفة حتى تلك التى اتسع افقها و معارفها الجغرافية مما وصل اليها من علوم حديثة عن طريق الاحتكاك الحضارى.الا انها لم تزل تمثل المعارف الاساسية بل والوحيدة للجماعات التى لازالت تعيش منعزلة محاصرة فى بدائيتها .

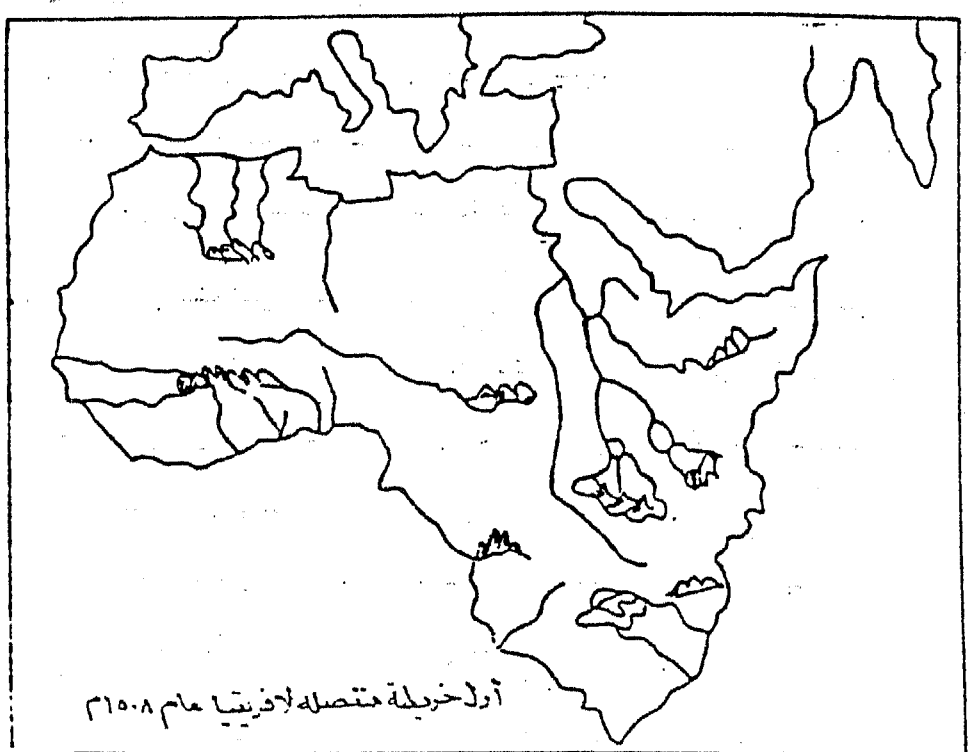

شكل رقم - ٤ -

وقد اخذت الكشوف القومية والاقليمية تبرز فـــــى افريقيا منذ فترات التاريخ القديم والوسيط كما سبـــــق. فالمصريون وصلوا الى أنحاء متباينة من افريقيا الى غربـى السودان و منطقة السدود وسواحل البحر الاحمر والقـــــرن الافريقى . بل هناك من يؤكد ان التأثير الحضاري المصـــرى قد وصل الى غرب افريقيا عن طريق الاقليم السودانى . وهناك من الادلة الحضارية مايوحى بصلات حضارية بين مصر واهالى النيل الاستوائية البعيدة ، و هى تشاهد فى لغات ومعتقدات اهالى منطقة رواندا وبوروندى الى الجنوب من خط الاستـــواء بنحو أربع دوائر عرضية بعيدا عن مصر بحوالى ٢٨ درجـــة عرضية . وان كانت اوجه التشابه اللغوية يمكن التشكك فيهـا باعتبار ان التأثيرات اللغوية الحامية متشابهة بين كـــل من المنطقتين الا أن التشابة فى التصور الدينى للالـــه الاعظم (امون) فى مصر و (ايمانا) فى المنطقة وحركتـــه اليومية من الصباح الى المساء لاشك تؤكد وجود تأثيـــرات من نوع ما(١) وكانت لهم رحلتهم حول سواحل القارة مـــن الشرق الى الغرب بقيادة الفينقيين الذين كانت لديهم بدورهم معارف عن السواحل الشمالية والغربية حتى غرب افريقيـــا و مناطق الظهير لكل منهـــا .(٢)

---

(1) Maquet, J. ; Inequality in Ruanda, 1961.
(2) Sykes, P.M: A History of exploration, 1935.
Brenton; J.H.: Great navigators and discoverers, 1961.

وقد ذكر (هيرودوت) المؤرخ اليوناني أن الملاحين الفينيقيين قاموا برحلات طويلة تحت رعاية (نخاو) ملك مصر نحو عام ٦٠٠ ق.م . و قد كان (نخاو) مقتنعا بأنه يمكن الابحار حول القارة الافريقية. وقد اثارت رواية هيرودوت الكثير من التساؤلات والمناقشات عن مدى معرفة المصريين والفينيقيين بهذه الحقائق الجغرافية و بالطرق البحرية حول افريقيا ،و عما أذا كانوا يعرفون هذا الطريقة حول الطرف الجنوبى من هذه القارة وسبق لهم ارتياده من عدمه.

و مجمل قصة (هيرودوت) أن ملك مصر (نخاو) ارسل بعثة قوامها من الفينيقيين ابحرت حول افريقيا من الشرق الى الغرب و عادوا سالمين الى مصر بطريق أعمدة هرقل (جبل طارق) بعد رحلة استغرقت فترة ثلاث سنوات(١). وقد خرجت عدد من السفن بتعليمات للذهاب الى اعمدة هرقل والعودة الى مصر عن طريقها بطريق البحر المتوسط. واتخذ الفينيقيون فى السفن المصرية طريقهم مرتحلين عن طريق خليج السويس والبحر الاحمر حيث أبحروا الى المحيط الهندى. و عندما جاء الخريف اتجهوا الى الشاطئ وزرعوا مساحة من الارض بالذرة وانتظروا نضجه و بعدها عاودوا الابحار. و غابوا سنتين و حتى العام الثالث عبروا اعمدة هرقل واتخذت الرحلة طريق العودة (٢)

(1) Sykes, Op. Cit, P.5.
(2) Brendon; Op. Cit, P. 21.

وكان يشك طويلا فى مدى صدق هذه الرحلة الا ان هناك عديدا من الادلة تدعمها حاليا . فالادلة الاثرية تدعمها كذلك الظروف التى ذكرها هيرودوت للتشكيك فيها كانت هى نفسها دليل تأكيدها. فقد كتب يقول انهم فى عودتهم اعلنوا انهم فى ابحارهم حول ليبيا اصبحت الشمس على يمينهم . وبناء على ذلك يمكننا ان نلاحظ ان تعليمات الفرعون (نخاو) توحى بأن رحلات مماثلة كانت قد تمت قبل هذا الوقت . الا انه على حسب ماهو معروف فانه لم تتم رحلات مماثلة بعد ذلك حتى ايام فاسكوداجاما عام ١٤٩٧ م .

ورغم ماقد يثار من شك حول امكانية تنفيذ مثل هذه الرحلة الطويلة فى هذا الزمن المبكر مع مايمكن ان يصادفها من عقبات و تعذر توفير مطالبها من الامدادات اوالقوة المحركة الا انه واقع الامور يمكن ان تكون دليلا على صدق الرواية و حقيقة الرحلة . فالمحيط الهندى الشمالى ـ كما نعلم ـ تهب عليه الرياح من الشمال الشرقى فى الشتاء بينما تهب عليه الرياح الموسمية الجنوبية الغربية فى فصل الصيف . و من الثابت تاريخيا انه كان هناك امبراطورية عربية عبر المحيط الهندى تشمل عمان بالاضافة الى زنجبار على سواحل افريقيا الشرقية . أضف الى ذلك ان السفن التى كانت مستعملة تشبه السفن العربية التى كانت ترتاد المحيط الهندى مستخدمة الرياح سالفة الذكر . كما أن

الفينيقيين ملاحون مهرة . أما عن مشكلة المؤن فكما سبق فانه يمكن توفيرها عن طريق زراعة الارض ثم انتظار نضج المحاصيل وجنيها قبل معاودة الرحلة ثانية (١) .

كذلك الحال بالنسبة للاغريق والرومان . فالاول عرفوا الزنوج وثراء المصريين، وقاسوا محيط الارض و كانت لهم مراكزهم على طول السواحل الشمالية من القارة . وقد اعتبروا النيل ينبع من مكان ما فى الغرب الى الجنوب من جبال اطلس أو فى غرب افريقيا . وذكر بطليموس الجغرافى منابع النيل الاستوائية وبحيراتها و جبال القمر بها . كل ذلك يدل على كشوف لها الصبغة الاقليمية بل هى عالية بمعيار العصر آنذاك.

و لم تختلف فترة القرون الوسطى عن ذلك بل زادت . وبدل انتشار الاسلام و القبائل العربية المستعربة على مدى الكشوف الجغرافية التى تمت فى تلك الفترات . وهى لم تقتصر على منطقة من القارة دون اخرى بل كان لها صفة الشمول لمعظم انحاء افريقية .

و فى تلك الفترات وبالرغم من أن المعارف الجغرافية ن انحاء القارة الافريقية لم تكن كاملة الا ان معلومات العرب عنها كانت تفوق كثيرا ما كان معروفا عن القارة لاهل اوربا او لغيرهم . ففى تلك الازمنة انتشر العرب حاملين لواء الاسلام الى شمال شرق القارة ،واخترقوا الصحراء الكبرى

(1) Sykes ; Op. Cit, P. 11.

ووصلت قوافلهم و قبائلهم الى النطاق السودانى فى غـــرب افريقيا . كما وصلت سفنهم و تجارهم الى سواحلها الشرقيـــة وامتدت اتصالاتهم الى منطقة ناتال الحالية والى هضبـــــة البحيرات.و انتشر العرب والثقافة العربية فى بلاد الصومـال والحبشة وزنجبار و موزمبيق و جزر القمر و كذلك مدغشقـــر، و تعددت الممالك الاسلامية المستقلة على طول امتداد هـــذه السواحل الشرقية فى مالينده ،مجاسا ،مقديشو ،سفالـــــة كلوا ،بجبا و زنجبارو غيرها .

وشهدت فترة العصور الوسطى طرقا هامة للقوافـــل كانت تجتاز الصحراء الكبرى مستخدمة حيوان الجمل.و كـــان هناك طرق عرضية للحج تقطع الصحراء مابين الغرب والشـــرق بينما امتدت طرق التجارة بين الشمال والجنوب . ولاشك ان انتشار هذه الطرق و عظم الحركة عليها تؤكد التعرف الصحيح لتوزيع الموارد والسكان فى انحاء مناطقها سواء على امتداد الطرق او عند مناطق منابعها واهدافها فى الشمال او فـــى الجنوب من الصحراء الكبـــرى .

و كان طريق الاربعين مابين مصر والاجزاء الغربية من السودان فى دارفور وكردفان من اشهر طرق الصحراء الكبـــرى فى جزئها الشرقى . و كانت الرحلة عبره تستغرق أربعين يوما مابين اسيوط فى مصر و كوبى عاصمة دارفور القديمة ،و هـــى مسافة تبلغ نحو ١١٠٠ ميل (حوالى ١٧٦٠ كم).و بعد ماتـــم

التعرف عليه وعلى موارد المناطق التى يوصل بينها بلغ حجم الحركة عليه شيئا كبيرا . فقد عبرته قوافل ضخمة كانت تتكون من ٢٠٠٠ جمل تتجه جنوبا محملة بالمعادن والملابس والمرايا والاسلحة و تعود بالرقيق و العاج وريش النعام وقرون الخرتيت والابنوس والقردة الحية والطيور . و كانت كل التجارة مع السودان وغرب افريقيا من هذا الجانب تمر عبر هذا الطريق المرعب . و هذا الدرب عبارة عن صحراء صخرية عريضة مسطحة يظهر به مائه مسلك ـ تبعا لانتشار حيوانات القوافل ـ ترتبط او تتوزع بدون نظام . و قد استمر هذا الطريق مستعملا فى النقل والتجارة لفترات طويلة امتدت من العصور الوسطى وماقبلها حتى العصر الحديث حيث قضت حرب السودان ـ الى جانب عوامل اخرى ـ على التجارة المارة به .فاضمحل شأنه و قضى عليه واصبح استخدامه له الصبغة المحلية فى بعض اجزائه .

أما الى الغرب من ذلك فكان هناك مسالك صحراوية اخرى مابين شواطىء البحر المتوسط فى بلاد المغرب فى الشمال و تخوم الصحراء والنطاق السودانى فى الجنوب.و كانت لها ثغورها البحرية والصحراوية المعروفة التى منها تبدأ واليها تنتهى . و كان الفضل فى شهرتها وازدهارها يعزى أولا الى الكشوف الجغرافية عبر الصحراء و فيها للموارد والسكان والطرق بالاضافة الى تقدم العلات التجارية و توالى ازديادها.